@ 868 @ ا وأطيعوا الرسول) ^ ، أي : في امتثال أمرهما ، واجتناب نهيهما ، فإن طاعة ا ، وطاعة رسوله ، مدار السعادة ، وعنوان الفلاح . ^ (فإن توليتم) ^ ، أي : عن طاعة ا وطاعة رسوله ، ^ (فإنما على رسولنا البلاغ المبين) ^ ، أي : يبلغكم ما أرسل به إليكم ، بلاغا بينا واضحا ، فتقوم عليكم به الحجة ، وليس بيده من هدايتكم ، ولا من حسابكم شيء . وإنما يحاسبكم على القيام بطاعة ا وطاعة رسوله ، أو عدم ذلك ، عالم الغيب والشهادة . ^ (ا لا إله إلا هو) ^ ، أي : هو المستحق للعبادة والألوهية ، فكل معبود سواه باطل . ^ (وعلى ا فليتوكل المؤمنون) ^ ، أي : فليعتمدوا عليه في كل أمر نابهم ، وفيما يريدون القيام به . فإنه لا يتيسر أمر من الأمور إلا با ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاعتماد على ا ، ولا يتم الاعتماد على ا ، حتى يحسن العبد ظنه بربه ، ويثق به في كفايته الأمر ، الذي يعتمد عليه به ، وبحسب إيمان العبد يكون توكله ، قوة وضعفا . ^ (يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن ا غفور رحيم * إنمآ أموالكم وأولادكم فتنة وا عنده أجر عظيم) ^ هذا تحذير من ا للمؤمنين ، عن الاغترار بالأزواج والأولاد ، فإن بعضهم عدو لكم ، والعدو هو الذي يريد لك الشر ، فوظيفتك الحذر ممن هذه صفته ، والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد . فنصح تعالى عباده ، أن توجب لهم هذه المحبة ، الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد ، التي فيها محذور شرعي ، ورغبهم في امتثال أوامره ، وتقديم مرضاته بما عنده ، من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية ، والمحاب الغالية ، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية . ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد ، فيما هو ضرر على العبد ، والتحذير من ذلك ، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم ، أمر تعالى بالحذر منهم ، والصفح عنهم والعفو ، فإن في ذلك من المصالح ما لا يمكن حصره ، فقال : ^ (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن ا غفور رحيم) ^ لأن الجزاء من جنس العمل . فمن عفا ، عفا ا عنه ، ومن صفح ، صفح عنه ، ومن عامل ا فيما يحب ، وعامل عباده بما يحبون ، وينفعهم ، نال محبة ا ، ومحبة عباده ، واستوثق له أمره . ^ (فاتقوا ا ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأول ئك هم المفلحون * إن تقرضوا ا قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم وا شكور حليم * عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) ^ يأمر تعالى بتقواه ، التي هي امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وقيد ذلك بالاستطاعة والقدرة . فهذه الآية تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد ، يسقط عنه ، وأنه إذا قدر على بعض الأمور ، وعجز عن

بعضها ، فإنه يأتي بما قدر عليه ، ويسقط عنه ما يعجز عنه ، كما قال النبي صلى ا عليه وسلم : (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) . ويدخل تحت هذه القاعدة الشرعية من الفروع ، ما لا يدخل تحت الحصر . وقوله : ^ (واسمعوا) ^ ، أي : اسمعوا ما يعظكم ا به ، وما يشرعه لكم ، من الأحكام واعلموا ذلك ، وانقادوا له ^ (وأطيعوا) ^ ا ورسوله في جميع أموركم . ^ (وأنفقوا) ^ من النفقات الواجبة والمستحبة ، يكن ذلك الفعل منكم ^ (خيرا لأنفسكم) ^ في الدنيا والآخرة ، فإن الخير كله في امتثال أوامر ا ، وقبول تصائحه ، والانقياد لشرعه ، والشر كله ، في مخالفة ذلك . ولكن ثم آفة تمنع كثيرا من الناس ، من النفقة المأمور بها ، وهو الشح المجبولة عليه أكثر النفوس ، فإنها تشح بالمال ، وتحب وجوده ، وتكره خروجه من اليد غاية الكراهة . ^ (ومن يوق شح نفسه) ^ بأن تسمح بالإنفاق النافع لها ^ (فأولئك هم المفلحون) ^ لأنهم أدركوا المطلوب ، ونجوا من المرهوب ، بل لعل ذلك شامل لكل ما أمر به العبد ، ونهى عنه . فإنه إن كانت نفسه شحيحة ، لا تنقاد لما أمرت به ، ولا تخرج ما قبلها ، (من النفقات المأمورة بها) لم يفلح ، بل خسر الدنيا والآخرة . وإن كانت نفسه نفسا سمحة ، مطمئنة ، منشرحة لشرع ا ، طالبة لمرضاته ، فإنها ليس بينها وبين فعل ما كلفت به إلا العلم به ، ووصول معرفته إليها ، والبصيرة بأنه مرض ،